

أو الأوراق الخاصة بعبد الناصر والضباط الأحرار ومجلس قيادة الثورة ثم إن أرشيف القصر الجمهورى غير متاح للباحثين، ومن هنا أصبح تقييم الثورة يعتمد على الوثائق المنشورة رغم قلتها إلى جانب المنكرات السياسية التي نشرها بعض من شاركوا فى الثورة ورغم أهميتها إلا انه لا يمكن الاعتماد عليها بشكل كامل وعلمى، ولهذا أصبح تقييم الثورة يدخل ضمن الاجتهادات الشخصية.

وأما السبب الموضوعى للخلاف فى تقييم الثورة فهو نابع من الثورة نفسها حيث أنها نجحت فى السنوات الأولى لها فى تصفية النخبة السياسية والاجتماعية التى كانت حاکمة قبلها من خلال الإصلاح الزراعى وتصفية الأحزاب وإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية مما أوجد فئة متضررة منها لها معاييرها المختلفة عند تقييم الثورة والحكم على ما حققته.

إنقلاب ثم ثورة

قلت: هل كانت ثورة للشعب قادها الجيش، أم كانت حركة جيش وإنقلاب عسكرى؟

قال: كما قلت قيام الثورة نتاج طبيعى للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى عاشتها مصر منذ انتهاء ثورة 19 والأمة كانت متحفزة وتنتظر طليعة تقتمح أمام السور ثم أن جميع الأفكار السياسية التى جاء بها الضباط الأحرار كانت هى نفس ما كان يطرح على الساحة السياسية وقتها فهى فى بدايتها إنقلاب أو حركة جيش ثم بتفاعلها مع الشعب أصبحت ثورة شعب ثم إن ما حققته الثورة فى العامين الأولين كان يبشر بتغيير أقبلت عليه البلاد لا يتوفر للانقلابات العسكارية التى تعمل على إجهاض الثورات والإبقاء على النظم القائمة فما حدث كان يعبر عن ملامح ثورة تعمل على تغيير الواقع وهو ما عبر عنه الدكتور طه حسين فى مجلة "التحرير" حينما قال: إنها ثورة وطنية أو ثورة مباركة ثم إن العقد الأول من عمر الثورة شهدت مصر خلاله تغيرات جذرية فى البنية الاقتصادية والاجتماعية تطورت خلاله ملامح نظام سياسى جديد ونهضة ثقافية عبرت عن المشروع الوطنى للثورة.

قلت: وهل تختلف ثورة يوليو عن الثورات الأخرى فى العالم؟

قال: كل ثورة هى نبت واقعها، الواقع المجتمعى لها. وهنا لا يصلح أن نأخذ موديل ثورة حدثت ونقلون نستفيد به فى ثورة أخرى، فلم يكن يصلح أن يأخذ الضباط الأحرار من الثورة الفرنسية أو من الثورة الأمريكية.

إيجابيات وسلبيات

قلت: الآن ماذا حققت الثورة من ايجابيات وسلبيات ؟

قال: بشكل عام الثورة لها انجازات هامة للغاية غيرت وجه الحياة على ارض مصر وشابتها سلبيات خطيرة شأنها شأن غيرها من الثورات الكبرى إلا أن الثورة مرت بعدة مراحل... مرحلة انتقالية امتدت من يناير 53 حتى يناير 1956 وأخرى امتدت من 56 حتى 61 مرحلة التحول الاشتراكي وامتدت من 61 حتى وفاة جمال عبد الناصر 1970 وبشكل عام نجحت الثورة فى تحقيق المطالب العامة للحركة الوطنية كذلك مبادئها العامة ومن أهم انجازاتها إنهاء الوجود الأجنبى على ارض مصر وإلغاء الملكية وهو أمر ليس سهلا ثم إن قوانين الإصلاح الزراعى أحدثت تحولا كبيرا على الخريطة الاجتماعية المصرية من إزاحة كبار الملاك لصالح الطبقة المتوسطة التى شكلت العماد الأساسى للثورة وأصبحت صلب هيئة التحرير والاقتصاد القومى والاتحاد الاشتراكي وتولت مسئوليته الجمعيات الزراعية والمجالس القروية وهذا لم يمكن موجودا من قبل .

ديمقراطية وهمية

قلت: ولكن هناك من يؤكدون أن الثورة قضت على التجربة الديمقراطية التى كانت تعيشها مصر قبلها ؟

قال: صحيح أن الثورة لم تتجح بشكل كبير فى تحقيق مبادئها السادس لتحقيق حياة ديمقراطية سليمة لأنها ركزت بشكل كبير على القضية الوطنية والتحرر الوطنى والاجتماعى على حساب قضية التحرر السياسى لديمقراطى إلا أن من يتحدثون عن ديمقراطية ما قبل الثورة واهمون ومخادعون فمبادرة الحكم النيابى الدستورى قبل الثورة جاءت من جانب السلطة البريطانية ذاتها من خلال مذكرة المندوب السامى البريطانى ضمن تصريح فبراير عام 22 التى قدمها للسلطان فؤاد الأول حيث نص البند العاشر منها على إنشاء برلمان يتمتع بحق الإشراف والرقابة على السياسة والإدارة فى حكومة مسئولة. إلا أن الممارسات الانتخابية مسخت جوهر النظام الديمقراطى، فمنذ برلمان عام 24 توالى على مصر عشر هيئات نيابية حتى قيام الثورة ولم يكمل برلمان واحد سنواته الخمس مما يؤكد عدم استقرار الحياة النيابية كذلك عدم استقرار السلطة التنفيذية حيث لم تقم. كان عمر الوزارات 14 شهرا فى المتوسط والديمقراطية الليبرالية التى عرفتها مصر قبل ثورة 23 يوليو ديمقراطية وهمية كان الحكم فيها بيد القصر تمارسه نخبه محدودة يربطها بالقصر روابط التحالف والمصالح المشتركة ثم إن حزب الوفد الذى كان من المفترض أن يكون المدافع الأول عن الديمقراطية لم يأخذ بها فى تنظيمه، فصلاحيات الزعيم تفوق صلاحيات القيادة وقراراته لا تقبل الجدل ولهذا لم تتحرك الجماهير للدفاع عن تلك الأحزاب عند صدور قرار الثورة بحلها فى يناير 1953.

خلاف الثوار

قلت: يحسب على الثورة الخلافات التى نشبت بين أعضائها لدرجة استبعاد قائدها محمد نجيب.

قال: مجموعات الضباط الذين قاموا بالثورة كانت تضم شباب الاتحادات السياسية والعقائدية التي عرفتھا مصر منذ أوائل الأربعينيات وكانت تلتقى جميعا حول أهداف عامة بصرف النظر عن مشربھا السیاسی وكانت اقرب ما تكون إلى عینة سیاسیة ثورية وأبعد ما تكون لقوة سیاسیة ذات ثقل فی التعبير عن مصالح سیاسیة واجتماعیة محددة وهذا التفاوت والتباين السیاسی والعسکری لقادة الثورة شكل ميزة لصالحها خلال السنوات الأولى بحيث استطاع استيعاب شتى الاتجاهات والتيارات إلا أن هذا التباين أضحى عینا كبيرا عندما فرضت القضية الاجتماعية نفسها ومن هنا بدأ الاختلاف الذي وصل إلى حد الابتعاد والإبعاد للكثيرين.

أما فيما يتعلق بمحمد نجيب .

فالمسلم به عند الإنجليز والأمريكان من أول وهلة أن نجيب كان واجهة للثورة، وأن اللاعبين الأصليين هم الضباط الصغار، من رئيسهم؟ هذه مشكلة.

على ماهر قال للقائم بالأعمال وكان السفير البريطاني وقتها في مصيف، يظهر أن قائدهم هو أنور السادات حيث التقى بنجيب والسادات ووجد أن السادات يتصرف بحرية كاملة في الجلسة وليس بطريقة المرؤوس للرئيس.

لم تجد الحكومة البريطانية راحة لهذا التفسير فطلبوا من الملحق العسکری أن يقدم أحد رجال المخابرات البريطانية إلى عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة، فقدمه لصالح سالم وجمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادي. وكان انطباعه الأول أن صلاح سالم يتحدث في السياسة بفهم، وعبد اللطيف البغدادي يليه في الأهمية في فهم السياسة، أما عبد الناصر فكان طوال الجلسة ينظر إلى سقف الحجرة ولم يتحدث، وهذا الشخص إما أنه لا يفهم الإنجليزية، أو لا يفهم في السياسة.

الأمريكان أيضاً لم يكونوا يعرفون من هو القائد الحقيقي للثورة، وكان أعضاء الضباط هو عبد المنعم أمين وهو من أسرة ثرية ، وكانوا يلتقون بأى ضيف في شقته عبد المنعم بالزمالك وكان في نفس الوقت يلعب تنس مع الملحق العسکری الأمريكى فاعتقدوا أنه هو القائد الحقيقي للثورة، وفوجئوا بعد ذلك بفصله من مجلس قيادة الثورة وعين سفيراً في إحدى العواصم الأوربية.

وعندما تشكل وفد المفاوضات الخاص بالسودان عام 1953 لاحظ الانجليز والامريكان أن عبد الناصر وإيماءاته ذات وزن فبدأوا يشيرون إليه، وفي عام 1954 ظهر بوضوح على السطح.

الدور الأمريكى فى الثورة

قلت: هل هناك دور لأمريكا فى نجاح الثورة؟

قال: بمجرد قيام الثورة ساهم الأمريكان فى إنهاء الوجود البريطانى فى مصر خاصة أن السفير الأمريكى جيفر سون كافرى بالقاهرة خدم من قبل بأمريكا اللاتينية وكانت لديه خبرة فى تدبير الانقلابات العسكرية واستخدامها .

وجد الأمريكان الفرصة مهيأة لتنفيذ مشروعهم المعد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية 1945 بإقامة منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط (حلف موجه ضد السوفيت).

اللافت للنظر أن أعمار الضباط الأحرار كانت تتراوح ما بين 23 إلى 26 عاماً، ومع ذلك استطاعوا بذكاء الشيوخ أن يلعبوا اللعبة السياسية هذه ... فقد أعلنوا أن فكرة المنظمة ليست سيئة ولكن كيف والإنجليز على أرض مصر؟ فقام الأمريكان بالضغط على الحكومة البريطانية وهى الخارجة من الحرب العالمية الثانية منهكة حتى وافقت على عملية الانسحاب عام 1954، وكان الجلاء بعد وضع شرط أن تعود القوات البريطانية إلى منطقة القناة فى حال أى عدوان على تركيا، وقتها غضب بعض المصريين من هذا الشرط وهذا لأنهم لم يكونوا يعلموا أن هذا الشرط أرحم من أشياء أخرى كثيرة ...

بعد أن أنهى الضباط الأحرار هذه المرحلة، طرح موضوع الحلف مرة ثانية ... فكانت الإجابة كيف تدخل حلف وا إسرائيل موجودة وهى حاجز . فبدأت الولايات المتحدة فى مشروع تسوية النزاع بين مصر وا إسرائيل، واتفقت ألمانيا الغربية وا إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة على تحمل تكاليف تنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين أو تعويضهم مع تسوية خاصة بالحدود، فطالب الضباط الأحرار بصحراء النقب كلها، وقتها ضربت إسرائيل غزة. وقد طلب الضباط الأحرار صحراء النقب حتى ترفض إسرائيل وأمريكا.

حدثت بعد ذلك صفقة السلاح التشيكية عام 1955، ثم الضغط من أجل بناء السد العالى، تأمين القناة، ثم العدوان الثلاثى على بورسعيد 1956. الولايات المتحدة لم تفقد الأمل فى احتواء مصر طوال هذه التطورات، لأنها كانت موقنة أنه لا يمكن عمل نظام دفاعى عن الشرق الأوسط ليس فيه مصر، بل إنها كانت تريد من مصر أن تكون مركز هذا النظام .

ولذلك ندمت الولايات المتحدة بعد ذلك على رفضها تمويل مشروع السد العالى .. فقد حسبوها خطأ حيث إن احمد حسين سفير مصر فى واشنطن قد أبلغ الأمريكان أن ا لسوفيت قد عرضوا

على مصر تمويل السد العالى ... اعتقدوا أن الأمر ما هو إلا مناورة مثل مناورة عقد صفقة الأسلحة التشيكية.

فقد كان تقدير الأمريكان أن السوفيت ليسوا بالقدرة على إقامة مشروع بضخامة السد العالى أو على تمويله.

فوجئ الأمريكان بأن السوفيت بالفعل دخلوا مصر وبدأوا فى تنفيذ مشروع السد العالى، فندموا ندماً شديداً حتى أنهم حاولوا أن يأخذوا المرحلة الثانية لبناء السد العالى عن طريق خلق مجموعة شركات انجليزية - ألمانية - فرنسية تقدم عرض. وكانوا مستعدين لكن وهم يعملون هذه الترتيبات فوجئوا أن السوفيت قد بدأوا فى بناء السد العالى، انتهزت مصر قيام العدوان الثلاثى على مصر عام 1956 وأعلنت فى 31 أكتوبر إلغاء معاهدة الجلاء كأن لم تكن. انفجرت بعد ذلك معركة الأحلاف مع الأعداء لقيام حلف بغداد وكان من نتائجها مكسب آخر لدعم الاستقلال الوطنى ... لأول مرة أصبح القرار المصرى يصدر من القاهرة وليس بتوجيهات من لندن أو واشنطن.

معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا ليبراليين فى الاقتصاد ... ولذلك حين أنشأوا المجلس القومى للإنتاج والمجلس القومى للخدمات من اجل دراسة جدوى المشروعات وطرحوها على رأس المالى الوطنى وقتها ، فلم يأت إليهم أحد خاصة أنه بعد عام 1956 ثم تأميم ممتلكات الانجليز والفرنساويين والبلجيكين وهو يعادل 80% من رأس المال الأجنبى الموجود فى مصر، وعملوا قرارات التمصير ودعوا رأس المال الوطنى للشراء لم يحضر أحد، فاضطرت الدولة إلى أن تديرها بنفسها .

تصور جهاز الثورة أن الرأسمالية الوطنية قسمين منفصلين قسم ملاك الأراضى والقسم الآخر يمثله رجال الأعمال، بينما هم واحد، وحين ضربوا فى الأرض الزراعية استحالة أن يأتوا من الجهة الأخرى، فاضطرت الحكومة أن تدبر 80% من رأس المال الأجنبى الموجود من خلال المؤسسة الاقتصادية .

بعد حركة انفصال سوريا عن الوحدة مع مصر مع بداية الستينات بدأت محاولة لتتظر ما حصل بواسطة تحالف قوى الشعب العاملة بعد عمليات التأميم.

وكانت أحوال المصانع غير مرضية بسبب أن أصحابها لا يجددون الماكينات بسبب ما أخذ يتردد في مصر من توقع عمليات التأميم في أى وقت، فكانت عمليات التهريب المنظمة لرؤوس الأموال إلى خارج مصر، تلا ذلك عسكرة القطاع العام أى الاستعانة ببعض العسكريين الخارجين من الخدمة لإدارة القطاع العام، وهذا يدل على عدم التعلم من التجربة التاريخية. فما فعله محمد على فى الصناعة باستخدام العسكريين كررته ثورة يوليو فى فترة محددة بسبب معاناتها من عدم وجود كوادر لتولى المسئولية.

وتجربة التنمية دائماً فيها تراكم وتوسيع لحركة التنمية، وقد حملت الثورة تجربة التنمية تكاليف المشروع السياسى الداعم لحركات التحرر فى العالم. فكانت تورد الأسلحة لإفريقيا وآسيا وتدريب الكوادر وتعطى الأموال لمناطق بعيداً عن المجال الحيوى لمصر والمنطقة العربية.

وبالنسبة لليمن تحديداً فى إطار المدى الحيوى المصرى وهى جزء مهم من الأمة العربية ، ولكن استخدم الجيش المصرى وكان هذا خارج ما استخدم مع بلدان عربية أخرى تريد التحرر من دعم سياسى ومالى وإمداد بالسلح فقط مما أدى إلى التورط فى مستتقع اليمن قبل نكسة 1967 .

وقد أدى تحميل تجربة التنمية تكاليف المشروع السياسى أن ضيق على الشعب المصرى فى أمور المعيشة فيما يقارب عشر سنوات.

القضية الفلسطينية

قلت: أين موقع القضية الفلسطينية على أجندة الثورة عند قيامها؟

قال: عدد من الضباط الأحرار عانوا فى حرب 1948 على أرض فلسطين، وهم يعرفون الأهمية الإستراتيجية لفلسطين وخطورة الكيان الإسرائيلى على هذه الأرض .. وقد رأيت فى التقارير عند الحديث عن الضباط الأحرار عند قيام التنمية فى حفلات السفارات سألوا صلاح سالم، عبد اللطيف البغدادي، جمال سالم، عبد الحكيم عامر ، محمد نجيب ، عبد الناصر ، فكانت الإجابة أن هذا الموضوع ليس صاحب الأولوية الآن وهذا نم عن ذكاء سياسى.

ولم يحدث إبراز للكيان الفلسطينى إلا فى مؤتمر القمة عام 1964 وإقامة منظمة التحرير الفلسطينية وتولى أحمد الشقيرى المسئولية، واتفاقه على صفقة أسلحة من الصين.

قلت: هل كانت حرب 1967 فخ منصوب كما قال البعض؟

قال: لم نبدأ الحرب ولكن استدرجنا لها الحشود المصرية كانت بهدف جزء من اللعبة السياسية وكان الأمر فى الحقيقة فخاً منصوباً نعم فخ ونصب.

قلت: قال البعض إن ثورة يوليو تريد إلقاء إسرائيل فى البحر واستخدام البعض ذلك ذريعة لتصويرها فى صورة الحمل الوديع؟

قال: لم يصدر هذا التصريح عن ثورة يوليو، والحقيقة أن عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية سئل فى حوار صحفى عن أن وجود إسرائيل على ارض فلسطين هو اغتصاب للأرض العربية
....

فرد بقوله : (هم جاءوا بالبحر ويعودون عن طريق البحر) . فى حين أن عبد الناصر كان يقول دائماً: لن نعطي لإسرائيل الفرصة لجرنا لمعركة نكون غير مستعدين له .

وعندما أقيمت الوحدة بين مصر وسوريا، الأمريكان أنزلوا جنود الأسطول السادس فى لبنان، والإنجليز أنزلوا قوات لهم بالأردن.

فى هذا الوقت كان هناك رجل يدين بالولاء لأمريكا أسمه نديم دمشقية وكان سفيراً للبنان فى القاهرة أوائل الثورة وبعد ذلك ذهب إلى باريس .

دعا عبد الناصر هذا الرجل وطلب منه إبلاغ الأمريكان أن الوحدة المصرية السورية ليست موجهة ضد الولايات المتحدة الأمريكية وذهب لإبلاغ ذلك للأمريكان وجاء ردهم أننا نريد تعهد من عبد الناصر (غير مكتوب) بالا يحاول اللعب فى الأردن أو لبنان، وفى المقابل سنلجم إسرائيل .